ابو عبدالله الزنجاني
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

تاريخ القرآن

كتاب وجيز يبحث عن سيرة النبي الكريم والقرآن الكريم ، والادوار التي مـــرت به من حيث كتابته ، وجمعه ، وترتيبـــه ، وترجمته الى سائر اللغات .

قدم له :
الاستاذ احمد امين
مؤلف كتاب فجر الاسلام

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

الطبعة الثالثة

حقوق الطبع محفوظة

١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م

المؤلف في سطور

هو العلامة الكبير ، والفيلسوف البارع ، والحكيم المتأله ، والعبقري المتضلع الاستاذ الشيخ ابو عبد الله بن الميرزا نصر الله الزنجاني رحمه الله تعالى .

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله بزنجان [1] في ١٣ جمادى الاولى سنة ١٣٠٩ هـ ونشأ فيها ، وكان من بدء نشأته شديد الذكاء ، عميق التفكير ، تظهر منه آثار العبقرية والنبوغ منذ طفولته ،لزم أساتذته وشيوخه حتى فرغ من علوم الأوائل ، ووقف في علمي الحكمة والكلام على كبار العلماء والحكماء والفلاسفة هناك كالعلامة الحكيم الميرزا ابراهيم الحكمي وغيره ، ثم ارتحل إلى النجف الأشرف [2] (مهد العلم والعلماء) لتكميل دروسه الأصولية والفقهية . وتلقى من اساتذة الفتيا وفطاحل العلم كالعلامة السيد محمد كاظم اليزدي ، واستاذ الشريعة الأصبهاني ، وبعدهما من الاستاذين الكبيرين آغا ضياء الدين العراقي ، والميرزا محمـــد حسين النائيني ، وبرع وتضلع في جميع العلوم العقلية والنقلية ، وبلغ مرتبة الاجتهاد حتى نال بأخذ الاجازة من أساتذته .

رحلاته :

ارتحل لجمع كلمة الاسلام والمسلمين إلى البـــلاد الإسلامية كالعراق ، والشام والاردن ، وفلسطين ، والجمهورية العربية المتحدة ، والحجاز ، واجتمع مع كبار

---

١ — زنجان مدينة كبيرة واقعة في شمالي ايران .

٢ — مدينة واقعة في العراق فيه قبر الامام علي بن ابي طالب «ع»

العلماء هناك ، ثم رجع إلى إيران وسكن وطنه زنجان ، وفي سنة ١٣٥٣ هـ توجه للمرة الثـــانية الى مصر ، وواجه أكابر علمائهـــا واساتذتها ، وناظر معهم حتى نظروا إليه نظر التوقير والتعظيم ، ونطقت ألسنتهم بالثناء عليه «انظر كلمة الاستاذ احمد أمين حول هذا الكتاب ومؤلفه » .

ثم رجع إلى دمشق واجتمع مع كبار العلماء هناك ، وناظر مع الاستاذ محمد كرد على رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق وشهدوا بعبقريته ، وسجلوه في سجل المجمع افتخاراً .

وبعد جولته هذا رجع إلى إيران وأقام بطهران اربع سنين، واشتغل بتدريس التفسير والفلسفة بكلية المعقول والمنقول ، فأصابه مرض قلبي ، وألجـــأه إلى الرجوع إلى موطنه الأصلي زنجان .

وفاته :

ما مضى من اقامته في وطنه (زنجان) حتى أجاب دعوة الحق ، ووفد إلى ربه الكريم في السابع من جمادى الثانية سنة ١٣٦٠ هـ ، وكان عمره ٥١ عاماً .

آثاره :

وله رحمه الله تعالى مؤلفات قيمة ونفيسة غير مطبوعة وجميعهـــا موجودة في مكتبة نجله الميرزا صادق الضيائي بإيران وإليك بعض المطبوع منها :

١ — تاريخ القرآن وهو هذا الكتاب طبع لأول مرة في القاهرة ثم في طهران.
٢ — بقاء النفس بعد فناء الجسد طبع بالقاهرة .
٣ — الفيلسوف الفارسي الكبير صدر الدين الشيرازي .
٤ — طهارة أهل الكتاب طبع ببغداد .
٥ — ترجمة قسم من كتاب الأبطال طبع بتبريز .
٦ — عظمة الحسين بن علي بالفارسية « « «

نرجو من الله العلي القدير أن يوفقنا لطبع جميع مؤلفات هذا الرجل العظيم المخطوطة انه سميع مجيب والله المستعان .

بيروت في ١ — ذق — ١٣٨٨
محمد الحسين الاعلمي

تعريف بمباحث الكتاب بالانجليزية

آتحفنا به الأساتذة الأفاضل

أعضاء لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية فى مصر

لأجل تبيين ما فى الكتاب للغرب

Forward

Students of Islamic Culture and Islamic Civilisation have regretted the lack of a scientific work written in Arabic on the history of the Koran. The necessity of such a work has been deeply felt by us in the course of our translating the Encyclopaedia of Islam into Arabic.

Orientalists have certainly treated this subject a long time ago. Eminent names such as Nöldeke, Bergsträsser and Pritzel may be mentioned in this field. But although Orientalists are better known for their scientific methods, the way they treat subjects and criticise sources, yet their views are sometimes not very far from being impartial.

It is thus rather interesting to hear the word of a moslem and Shi'ite Scholar such as Sheikh Abu-Abdullàh al Zandjani.

The author of this work has no need to be introduced. Being an eminent scholar and one of the greatest Persian Mudjtahidin at the present time, his work is no doubt a contribution to modern science.

Many of the subjects he treated are of great interest. The life of the Prophet, the Conditions which prevailed Arabia at his time, how his mission was expected and how it deeply changed the history of Arabia, are questions skilfully dealt with.

Many of the problems which you may find scattered in various works are displayed in this short work. Views of Arabic as well as European Scholars are indicated and criticised. The history of the Koran, the order of its chapters (Suras), how it was taught by the prophet to his companions, how it was first written, the most famous reciters of the Koran and its European translations are among the problems which the author displays in great skill.

Sheikh Abù-Abdullàh al Zandjani is to be congratulated for his work which, we believe, will be of great use to those who wish to study the history of the Koran.

july, 1st, 1935

Committee for the translation of the Encyclopaedia of Islam

Ibrahim Z. Khorshid	Abbas Mahmoud
ابراهيم زكى خورشيد	عباس محمود
Ahmad al Chintinawi	Abdel Hamid Younes
احمد الشنتناوى	عبد الحميد يونس

المقدمة

بقلم احمد امين

استاذ كلية الآداب بالجامعة المصرية

أتيحت لي فرصة أن أقدم للقراء « تاريخ القرآن » للأستاذ أبي عبد الله الزنجاني، فاغتبطت لذلك لأسباب :

أولها : أن الاستاذ من أكبر علماء الشيعة ومجتهديهم ، وكاتب هذه السطور سني ، وطالما في نفسي أن أرى الخلاف بين السنيين والشيعيين يشتد ويحتد ويؤدي الى جدل عنيف ، وتدابر وتقاطع ، ولم يقف الامر عند الجدل الكلامي ، والبغض النفساني ، بل كثيراً ما تعداه إلى تجريد السيف واحتدام القتال . ولو أحصينا ما كان بينهم من عهد علي (رض) إلى الآن لبلغت حوادثه المجلدات الضخمة ، كلها خلاف وكلها دماء ، ولو كان أنفق هذا الجهد في سبيل الإصلاح لبلغ المسلمون ذروة المجد ، ولكن أبت السياسة أحياناً ، والمطامع الشخصية أحياناً ، إلا أن تثير الفتن ، وتدبر الدسائس ، وتفرق بين الاخوة ، ويعجب المؤرخ أن يرى النزاع يبلغ هذا المبلغ بين فئتين يجمعهم الإعتقاد بأن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، وان المؤمنين إخوة ، ولئن ساغ في العقل أن يقتتلوا أيام كان هناك نزاع فعلي الخلافة من هو أحق منها ومن يتولاها ، فليس يسوغ بحال من الأحوال أن يقتتلوا على خلاف اصبح في ذمة التاريخ لا يستطيع القتال والنزاع أن يعيده إلى الوجود بل بعد أن أصبحت الخلافة نفسها مسألة تاريخية بحتة ، وليس للمسلمين خليفة فعلي

يضم كلمتهم ، ويجمع شتاتهم ، وأصبح كل الخلاف خلافاً في التاريخ ، وخلافاً في الإجتهاد ، ولولا ألاعيب السياسة واستغفال الماكرين لعقول العامة ، واحتفاظ ارباب الشهوات والمطامع بجاههم وسلطانهم ، لانمحى الخلاف بين الشيعي والسني ، ولأصبحوا بنعمة الله اخواناً ، ولتعاونوا على جلب المصالح ودرء المفاسد لجميعهم ، ولنظر بعضهم إلى بعض كما ينظر حنفي إلى مالكي ، ومالكي إلى شافعي .

وأظن أن الوقت قد حان لأن يفكر عقلاء الطائفتين في سبيل الوئام ، ويعملوا على إحياء عوامل الألفة وإماتة الخصام ، ويتركوا للعلماء البحث حرّ في التاريخ ، ويتلقوا النتائج بصدر رحب ، كما يتلقون النتائج في أي بحث علمي وتاريخي ؛ وتبعة هذا الخلاف تقع على رؤساء الطائفتين ، ففي يدهم تقليله وفناؤه ، كما في يدهم إشعاله وإنماؤه .

ففرصة سعيدة أراها أن يؤلف الكتاب شيعي ، ويقدمه للقراء سني ، ولعلها بادرة حسنة من بوادر السير للوئام ، والدعوة إلى السلام ، والعمل لخير المسلمين من غير نظر إلى فرقة أو مذهب ، وهو ما يتطلبه ويوجبه موقف المسلمين الحاضر .

وثانيها : أنه كان من حسن التوفيق أن عرفت الأستاذ أبا عبد الله الزنجاني حين زيارته مصر سنة ١٩٣٥ ، فتوثقت بيننا الصلة ، وتأكدت الصداقة على قرب العهد بالتعارف ، وقصر زمن اللقاء،ولكن قرب الأرواح يفعل ما لا يفعله تراخي الزمن وطول العهد ، وصدق الحديث : « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وقد رأيته واسع الاطلاع ، عميق التفكير ، غزير العلم بالفلسفة الإسلامية ومناحيها وأطوارها ، على صفاء في نفسه ، وسماحة في خُلقه ، محاببه إليّ ، وحبب لي أن أقدم كتابه لقرائه .

وثالثها : موضوع الكتاب أو الرسالة وهو تاريخ القرآن من حيث الخط والجمع والترتيب والإعراب والإعجام ، وهو موضوع شاق عسير تعرض له الاقدمون ،

ولا يزال مجال القول فيه ذا سعة .

وقد كان في نية الأستاذ الزنجاني أن يفيض فيه ، ويخرج كتاباً واسعاً يجمع إلى سعة الرواية إعمال العقل ، ولكن حالت ظروف دون ذلك فخرج الكتاب موجزاً مختصراً ، ومع هذا فقد جمع فيه كثيراً مما تشتت في ثنايا الكتب من مؤلفين سنيين وشيعيين .

ولعل الزمن والظروف تهيء له أن يتبع خطوته هذه بخطوة أخرى ، فيهدي للقراء في هذا الموضوع بحثاً أوفى ، وكتاباً أوسع يكشف ما غمض من هذه المسائل العويصة ، والدقائق العميقة ، وهو بذلك جدير ، وفقه الله .

٢٥ يونيه سنة ١٩٣٥ أحمد أمين

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم الإنسان مـــا لم يعلم ، والصلاة على نبيه الأكرم الذي نطق بالقرآن الذي يهدي للتي هي أقوم ، والسلام على آله وأصحابه مصابيح الظلم .

منذ زمن نزول القرآن ، وظهوره بلسان النبي العربي (ص) عني به المسلمون من الصحابة والتابعين والعلماء والقراء عناية كبيرة لا مثيل لها لأي كتاب من الكتب السماوية .

والكتب المؤلفة في علومه من أقدم القرون الإسلامية للمفسرين والقراء وسائر العلماء دليل ساطع على ذلك ، ولا يزال العلماء يسيرون على البحث عنه بنواح شتى ومن القرن الثاني عشر اتبعهم الإفرنج فبدأوا يبحثون عن تاريخه ؛ وعن الكتب المؤلفة فيه ، وعن تفسيره وما أشبه ذلك ؛ وفي هذا العصر قامت ألمانيا بعمل عظيم محمود ؛ ذلك ان المجمع العلمي في (مونيخ Munchen) بألمانيا يُعنى اليوم عنـــاية خاصة بالقرآن الكريم ، فقد عزم على جمع كل ما يمكن الحصول عليه من المصادر الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه ؛ وادلى هذا الامر إلى الأستاذ (ج . برجشتراسر G . Bergstraesser) الذي كان قد بدأ بالعمل في حياته ؛ فلما توفي سنة ١٩٣٣ عهـــد لمجمع بالسير في هذا المشروع إلى العالم (أوتوبرتيزل Or Otto pretzl)استاذ اللغـــة العربية في مونيخ؛وهذا الاستاذ كتب الى المجمع العلمي العربي(Académie Arabe) في دمشق كتاباً يقول فيه :

« ولقد نوينا تسهيلا لمحبى الإطلاع أن ندون كل آية من القرآن الكريم في لوحة خاصة تحوي مختلف الرسم الذي وقفنا عليه في مختلف المصاحف مع بيان القراءات المختلفة التي عثرنا عليها في المتون المتنوعة ؛ ومتبوعة بالتفاسير العديدة التي ظهرت على مدى العصور وتوالي القرون » .

وأخذ في نشر أهم الكتب المؤلفة في القرآن ؛ ككتاب التيسير في القراءات السبع لابي عمر عثمان بن سعيد الداني ، وهو أصح الكتب المؤلفة في علم القراءات وكتاب المقنع في رسم مصاحف الامصار مع كتاب النقط للداني ، وكتاب مختصر الشواذ لابن خالويه ، وكتاب المحتسب لابن جني الذي طبع متنه بحروف لاتينية بين نشرات المجمع العلمي في مونيخ ، وكتاب غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين محمد الجزري المتوفي سنة ٨٣٣ هـ ، وكتاب معاني القرآن للفراء ، ورسالة في تاريخ علم القرآن باللغة الألمانية وهي تحتوي على اسماء المؤلفات في علم القرآن الموجودة في الآفاق ودور الكتب في العالم .

ولكن الموضوع الذي يهتم به العلماء هو البحث عن تاريخ القرآن ، وعن أدواره التي مرت عليه من زمن النبي (ص) إلى القرون الأولى الإسلامية ، وأن بحثهم فيه إنما كان بعرض الكلام في علومه ، ولم يكن تأليف يكفل هذا البحث مع مافيه من فائدة جزيلة .

منذ زمن بعيد شرعتُ في جمع المواد المتشتتة المتعلقة بهذا الموضوع في الكتب المتفرقة ، وبحثت فيه وذكرتُ خلاصة البحث في هذا المختصر فهو بمنزلة جزء من مقدمة تفسير أنوي تحريره على النمط العقلي التحليلي ، فبدأت أولا بذكر مختصر من سيرة النبي الاكرم « ص » نقلا عن المصادر الصحيحة .

وأرجو أن تكون في ذلك فائدة ونفع للقراء ، ومن الله التوفيق .

محمـــد النبي

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

والقرآن

جرت سنة الله في خلقه بان يحيي عالم المادة بالشمس وهي تجري لمستقر لهـــا وكذلك جرت سنته بأن يحيي عالم النفس الإنساني بالنبوة .

فرعشات الضوء من الشمس خير هاد للكون بكلام من النور ، واشعة الوحي من النبي خير هادٍ لإنسان الكون بنور من الكلام . فكلام الله الموحى الى النبي (ص) هو القرآن الذي عبر عن نفسه بالنور في قوله تعالى : « قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » [1] .

فإن شئت تفسير ذلك فانظر الى التاريخ تر ان في أوائل القرن السابع للميلاد كان العالم شرقه وغربه قـــد استحال كونه الى الفساد والفوضى ، فحضارته تتحطم بالترف والرخاوة ، وسياسته تتحكم بالغلول والاثرة ، واخلاقه تتفكك بالسرف والشهوة ، وعقائده تتنزى بالجدل والتعصب ، ودماؤه تهدر بيـد الظالمين ، لغير غرض سام ولا مبدأ مقدس ، وكانت شعوبه منذ زمن طويل قد فقدت مُثلـــها العليا ، فهي تعيش عيش الهمل السوائم .

على هذه الحالة خرج محمد (ص) برسالته الدينية والخُلقية إلى هـــذا العالم المتناقض والهيكل البالي [2] .

---

١ - سورة المائدة آية ١٤ ، ١٥ .

٢ – بعثه الله رحمة للعالمين ، لينشر التوحيد في العالم كله ، ويصلح العقائد الفاسدة ، ويدعو الناس الى التفكير بعقولهم ، وشكر الله على ما أعطاهم .

وبيده هذا القرآن أو إن شئت قل بيده هذا القبس ؛ قبس التوحيد المنير فدعى إلى سنائه الشرق والغرب ، فجدد اخلاقه على الفضيلة ، وطبع عقيدته على التسامح ورفع مجتمعه على المحبة ، وصمد للجهاد والفتح في سبيل المثـــل الاعلى لا يطمح من دونه الى سلطان ، ولا يطمع من ورائه الى غرض ، حتى هذب العالم وحرر العقل وقال : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا »[1] وإليك نبذة من سيرة هذا الرسول والمصلح العظيم (ص) عن اوثق المصادر .

ولادته «ص»

إن الباحث في تاريخ ولادة النبي الأكرم (ص) يصادف في بحثه على إشكالين :

(الأول) عدم ضبط العرب تاريخهم بالكتابة ، لانها كانت حديثة العهد في عهده (ص) .

(الثاني) الجهل بحساب السنين المستعمل عند عرب الجاهلية ، وهل كانت سنتهم شمسية ام قمرية كي يتحقق حدوث ولادته (ص) في ربيـع الاول بل كانت اسما الشهور قبل الإسلام غير اسمائها بعد الإسلام .

رجح كوسين دي برسفال[2] (Caussin de perceval) كون حساب السنين عندهم قمرية واستند في ذلك على قول (البيروني)[3] وعلى أقوال بعض المؤرخين المسلمين أن العرب كانوا يكسبون شهراً بعد كل ثلاث سنين منعاً لحدوث المخالفة بين اشهرهم وفصول السنة الشمسية ، فصارت سنتهم قمرية وشمسية معاً ، ولا سند

---

١ — سورة الاسراء آية ٣٦ .

٢ — (Caussin de Perceval) هذا المستشرق المحقق كتب في هذا الموضوع مقالة ادرجها في المجلة الاسيوية سنة ١٨٤٣ « انظر علم الفلك وتاريخه في القرون الوسطى عند العرب تأليف المحقق سينور كورلونلينو الايطالي ص ٩٤ » .

٣ — ابو الريحان محمد بن احمد البيروني ولد سنة ٩٧٣ م بمدينة خوارزم المسماة ايضاً ورث وتوفى بغزنة من اعمال افغان سنة ١٠٣٨ م وهو من كبـار الفلكيين الرياضيـين المسلمين « انظر علم الفلك وتاريخه ص ٣٨ » .

لنا في تاريخ ولادة النبي (ص) إلا قول الثقات من علماء المسلمين من السنة والشيعة اتفق أكثر علماء الإسلام المتقدمين من المحدثين والفقهاء والمؤرخين على أن ولادته حدثت في ربيع الأول ، ولكن اختلفوا في اليوم الذي ولد فيه (ص) ، ذهب أكثر علماء الشيعة أنه ولد في ١٧ ربيع الأول عام الفيل .

قال الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان [١] في كتاب حدائق الرياض: في التواريخ الشرعية : إن ولادته كانت في السابع عشر من ربيع الاول ، وفي كتاب الاقبال لابن طاوس العلوي : إن الذين أدركناهم من العلماء عممنهم على أن ولادته (ص) كان يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأول عام الفيل. ويقول صاحب كتاب بحار الأنوار [٢] المشهور عند الشيعة الإمامية إلا من شذ منهم أن ولادته في السابع عشر بعد مضي اثنين وأربعين سنة من ملك كسرى أنو شروان ، ويؤيده ما ورد من قوله (ص) : ولدت في زمن الملك العادل أنو شروان ، وخالفهم من الشيعة صاحب كتاب الكافي [٣] وقال : إنه (ص) ولد لاثنتي عشر ليلة مضت من ربيع الأول في عام الفيل .

ويقول الحافظ أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي المتوفي سنة ٦٧٦ هـ في كتابه (تهذيب الاسماء واللغات) : أن الصحيح المشهور أن النبي «ص» ولد عام الفيل . ونقل ابراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري . وخليفة ابن الخياط ، والآخرون الإجماع عليه ، واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ،

---

١ — وهو من كبار علماء الشيعة المتوفي سنة ٤١٣ هـ ، يقول ابن النديم : في عصرنا انتهت رياسة متكلمي الشيعة اليه ، مقدم في صناعة الكلام على مذهب اصحابه ، شاهدته فرايته بارعا « فهرست ص ٧٨ طبعة leipzig » .

٢ — هو المحدث الكبير محمد باقر بن محمد تقي الاصفهاني المعروف بالمجلسي المولود سنة ١٠٣٧ هـ والمتوفى سنة ١١١٠ هـ .

٣ — هو الامام المحدث ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي المتوفي سنة ٣٢٨ هـ .

واختلفوا هل هو في اليوم الثاني أم الثامن أم العاشر أم الثاني عشر ؟ فهذه اربعة أقوال مشهورة .

واتخذ الاستاذ محمود باشا الفلكي المصري [1] سبيلا يوثق بصحته في تعيين تاريخ ولادته ، وهو في بحثه عن كشف نوع التاريخ المستعمل عند العرب ، وأنه هل كانت سنتهم شمسية أم قمرية جمع نصوصاً وروايات قديمة ، واستند اليها في تعيين ثلاثة تواريخ ، وجعلها اساساً لرأيه ، وهي :

١ - تاريخ وفاة ابراهيم ابن النبي (ص)

٢ — يوم دخول النبي (ص) المدينة المنورة حين هجرته

٣ — يوم ولادته . وذلك كله بالحساب اليوليوسي (*Julian*) ، وفي بحثه هذا استند على حسابات فلكية ، مثل حساب كسوف الشمس الذي كان يوم وفاة ابراهيم في السنة العاشرة من الهجرة على ما رواه المحدثون .

ومثل حساب اقتران زحل ومريخ في برج عقرب الذي كان على قول بعض المنجمين عام ولادة النبي (ص) وقبلها بقليل ، واستدلوا به على ظهور ملة الاسلام، ولتعيين يوم دخول النبي المدينة المنورة حسب يوم عاشوراء اليهود في تلك السنة بقول اكثر المحدثين وأهل السير : وهو أن دخول النبي « ص » إلى المدينة كان يوم ذلك العيد اليهودي . وبعد ما عين جميع ذلك بحساب السنين اليوليوسي (*Julian*) . قال : وحيث كانت الأشهر العربية التي وقعت فيها هذه الحوادث الثلاث معروفة ايضاً فانتهى رأيه إلى أن ولادة النبي الأكرم (ص) كانت يوم الاثنين ٩ ربيع الأول الموافق ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ م .

حالة العالم عند ظهور النبي « ص »

ظهر في قريش من فرع هاشم النبي محمد (ص) بن عبد الله بن عبد المطلب

---

(١) هو محمود بن حمدي الفلكي المصري من كبار علماء الفلك توفي سنة ١٠٣٣ هـ ، وهذا العالم كتب تذكرة بالفرنسية عن التقاويم قبل الإسلام ومولد النبي (ص) على التحقيق طبعت في باريس سنة ١٨٥٨ م وترجمت الى العربية بعناية الاستاذ احمد زكي باشا رحمه الله وطبعت في مطبعة بولاق سنة ١٨٨٩ ميلادية .

في أوائل القرن السابع للمسيح[1] ونادى بالاسلام ، فانتشرت دعوته في الجزيرة كلها ، ثم في الشرق كافة بسرعة لا مثيل لها في تاريخ الاديان ، نظراً لكثرة الاسباب الملائمة لانتشارها .

كانت بلاد الشام ومصر في ذلك العهد في يد المملكة البيزنتية (*byzantine*) التي عرفت عند العرب (بمملكة الروم) وعليها ملك يدعى هرقل ، وكان العراق واليمن في يد مملكة الفرس وعليها كسرى أنو شروان ؛ وكانت المملكتان تتطاحنان في الحروب وتئنان من الثورات الداخلية وفراغ خزينتيهما من النقود ، وقد افتتح جيش كسرى من بلاد الروم الرها[2] سنة ٦١١ م ، واستولى على دمشق سنة ٦١٣ م وعلى أورشليم سنة ٦١٤ م ، وغنم منها نفائس لا تثمن وفي جملتها خشبة الصليب ، ثم زحف على مصر سنة ٦١٧ م فافتتح الاسكندرية ؛ وكان جيش آخر للفرس يجتاح آسيا الصغرى حيث بلغ خلقدونية فاحتلها ، ولم يبق بينه وبين العاصمة سوى البوسفور ، فهب هرقل إذ ذاك من رقاده واستعد للحرب وجرّد جيوشه ، واسترد من الفرس هذه المدن كلها وخشبة الصليب ، وقام الاسلام في جزيرة العرب والحرب دائرة بين المملكتين ولم تنته إلا سنة ٦٣٨ م .

وكانت المملكتان في ذلك الوقت تتنافسان في بسط نفوذهما على بلاد العرب لما كان لهذه البلاد من الشأن الخطير لحاصلاتها من الذهب وأنواع العطور ولما لموقعها الجغرافي من الاهمية إذ كانت في ذلك العهد طريق الهند .

وكان الروم بعد اخفاق حملتهم على بلاد العرب بقيادة (اليوس غالوس) سنة ١٨ ق . م في عهد (أوغسطوس) قيصر قد عدلوا عن فتح البلاد عنوة ، وعولوا

---

(١) قال الرسول عليه الصلاة والسلام . « ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ، فانا خيار من خيار من خيار » وهذا القول اوضح دليل على ان آباؤه واجداده جميعاً كانوا سادة العرب واشرافهم .

(٢) مدينة تبعد ١٩٠ كيلو متر عن حلب وتقع في الشمال الشرقي منها . (قاموس الاعلام التركي) .

على الفتح السلمي ، واختاروا لمعاونتهم على ذلك ملوك غسان ، فناطوا بهم مراقبة حدود بلاد العرب من جهة سوريا وفلسطين والسعي في بسط نفوذهم في البلاد العربية .

واتبع الفرس من جانبهم مثل هذه السياسة ، واعتمدوا على المناذرة ملوك الحيرة ، وناطوا بهم مقاومة نفوذ الروم ، ورفع شأن الفرس في بلاد العرب ، وكانت ديانة مملكة الروم النصرانية ، وديانة مملكة الفرس المجوسية ، او تقديس مذهب زرادشت [1] .

وكان المجوس يناوئون النصارى ويعضدهم اليهود . وقد انقسم النصارى طوائف شتى : يعاقبه ، ونساطره ، واريوسيين ، وارثوذكس وغيرهم . وانقسم اليهود الى ربانيين ، وقرائين ، وسامريين .

وكان العرب في جزيرتهم يتخبطون في عبادة الكواكب والاصنام ، وقد دخل الجزيرة اليهودية والنصرانية من الشام ، والمجوسية من العراق ، وكان من العرب من اعترف بالخالق وانكر البعث ، ومنهم من انكر الخالق والبعث وقال بالطبع المحيي والدهر المفني، وكلهم قالوا بالبخت والجن ، واشتغلوا بالتنجيم والسحر وتفسير الاحلام ، وكان من عادتهم الذميمة : وأد البنات ، وعدم الرفق بالرقيق وشرب الخمر ، ولعب الميسر وبالإجمال فقد كانت الفوضى في السياسة والإدارة والدين والاخلاق سائدة في الشرق كله ، وكان الشرق يتطلب الخروج من هذه الفوضى والراحة من شرها .

فلما ظهر النبي محمد (ص) نادى قومه بقوله : لا اله إلا الله محمد رسول الله، فصرف وجوههم عن الكواكب إلى (القرآن الكريم) فجاء آية في الفصاحة والبلاغة وحسن التنسيق ، وقد تضمن عقيدة التوحيد التي تقبلها الفطرة الإنسانية

---

(١) من القائلين بالثنوية (٦٦٠ — ٥٨٥ ق . م .) حكيم مصلح شاء ان يبعد قومه الفرس الاولين عن الخرافات قدر الطاقة ، فقال ان الله الواحد الذي لا شريك له ولا ضد خلق النور والظلمة ثم مزجهما لحكمة ارادها من ذلك المزج حتى يظهر هذا العالم ثم لا يزال هذان يتغالبان حتى يغلب النور الظلمة ، ويغلب الخير الشر . حينئذ يتخلص الخير الى عالمه الاعلى وينحط الشر الى عالمه الاسفل .

وتضمن فوق ذلك آداباً وحكماً وشرائع وعلماً وتاريخاً وخلقاً كريماً .

وكان ظهور النبي محمد (ص) في جوار الكعبة والأسواق الشهيرة التي كانت تحج اليها العرب من كل فج ، وهو من قريش سادة دين العرب وتجارهم إلى اليمن والشام والعراق .

وقد حضّ قومه على نشر الإسلام والجهاد في سبيله ، ووعد المجاهدين منهم الجنة لذلك كله ، ولما كانت العرب تعجب بالفصاحة والبلاغة ، وتتحرك بالمعاني الروحية لما في طبعهم الحر من المروءة والنجدة والحماسة ، وكانوا قد اعتادوا في باديتهم القتال وركوب الاخطار ، واستفزهم وعدُ نبيهم وبلاغته وسيرته فنصروه ، ثم نصروا من بعده خلفاءه ، فتمكنوا في جيل أو أقل من نشر سلطانهم ودينهم ولغتهم من السند والهند إلى المحيط الاتلانتيكي شرقاً وغرباً ، ومن بحر الخزر وآسيا الصغرى وبحر الروم، وفرنسا إلى المحيط الهندي وأعالي السودان شمالاً وجنوباً

سيرته « ص »

وهاك بيان موجز من سيرة النبي محمد (ص)، ودعوته وكيفية انتشارها نقلا عن أوثق المصادر وأحدث الكتب المؤلفة لأكابر علماء الإسلام .

ولد النبي محمد (ص) بمكة في ١٢ ربيع الأول على المشهور بين اهل السنة و ٩ منه على الصحيح ، و ١٧ منه على المشهور بين الإمامية ، ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ م وهي عام الفيل [١] ، وتوفي ابوه قبل أن يولد [٢] فكفله جده عبد المطلب إلى أن بلغ الثامنة من عمره ، ومات جده فكفله عمه أبو طالب ، وكانت قريش في ذلك العهد قائمة بالتجارة بين اليمن والشام والعراق ، وكان أبو طالب يحترف بما احترف به قومه ، فخرج بالفتى محمد (ص) إلى الشام وهو في الثالثة عشرة من عمره ، وكان الفتى نجيباً زكي الفؤاد ، ودلائل النجابة والذكاء بادية على وجهه ،

---

(١) روى البيهقي عن فاطمة الثقفية انها قالت : لما حضرت ولادة النبي (ص) رايت البيت حين وضع قد امتلأ نوراً ورايت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع علي.

(٢) حملته امه في اول رجب ، وتوفي ابوه عبد الله في المدينة بعد شهرين من حمله ،وهو في عنفوان الشباب .

قيل فلما نزل بصرى [1] مع عمه رآه راهب مشهور بالصلاح والتقوى يدعى (بحيرا) فقال : (سيكون من هـــذا الفتى أمر عظيم ينتشر ذكره في مشارق الأرض ومغاربها) ؛ ولما بلغ الخامسة والعشرين خرج إلى الشام في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد [2] مع غلامها ميسرة وعاد اليها بربح عظيم ، وقد أعجبها جداً مهارته وصدقه وامانته ، فخطبته لنفسها ، وكانت من اعظم نساء قريش فضلا ، واكثرهن مالا ، واوضحهن نسباً ، فكان له من شرف بيتها وثروتها خير معين قبل البعثة وبعدها وقد شب النبي محمد (ص) على كرم الخلق ، وعزة النفس ، وشدة الغيرة على قومه ، حتى كان لا يطيق أن يراهم على ضلال ، وكان متين الاعتقاد بوجود الله ووحدانيته ، وبالبعث والخلود ؛ وكان تقياً ورعاً محبا للزهد والنسك ، وكثيراً ما كان يذهب الى غار حراء قرب مكة للصلاة والعبادة ، وبقي حتى ناهز الاربعين من عمره ، ففي ليلة القدر الموافقة ١ فبراير سنة ٦١٠ م بينما كان في غـار حراء ظهر له الروح الامين وامره بالقيام بالدعوة (والرسالة) ، واخبر بذلك زوجته خديجة ، فآمنت به وآمن به ابن عمه علي بن ابي طـالب (ع) ، ومولاه زيـد بن حارثة ، وصاحبه ابو بكر (ض) ، وكان ابو بكر رجلا سهلا محببا لقومه ، فجعل يـــدعو إلى الاسلام سراً من وثق منهم ، فاسلم على يده عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن ابي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فكان هؤلاء المسلمين السابقين ، وظل النبي (ص) يخفي الدعوة ثلاث سنـــين حتى بلغ أتباعه نحو الأربعين ، وفيهم عمر بن الخطاب (ض) وعمه حمزة ، ثم جهر بها وانذر عشيرته الاقربين ، فنبذوا دعوته وسعوا في إبطالها بكل قواهم لانهم كانوا رؤساء دين العرب وأهل البيت الحرام ، وخـــافوا إذا اتوا بدين جديد أن تنتقض عليهم العرب فتبور تجارتهم ، وفوق ذلك فانهم لم يطيقوا أن يستأثر النبي محمد (ص) بالسيادة عليهم على قلـة مـاله ، ولذلك كان أشد النـاس

---

(١) مدينة قديمة شهيرة كانت معمورة في عهد الرومانيين واقعة على ٩٠ كيلو متر من دمشق ، وفيها كانت صومعة الراهب المشهور جرجيس او بحيرى وكان من علماء النصرانية ، وقيل انه كان حبرا من احبار يهود تيماء .

(٢) كانت تاجرة ذات شرف ، ومال كثير ، وتجارة تبعث بها الى الشام كعامة قريش وكانت تستاجر الرجال ، وتدفع اليهم مالاً للسفر لها في التجارة .

معارضة له أشراف قريش وأغنياؤهم [1] ، ولكنه كان محمياً بعـــدة منهم وهم أقرباؤه وقد اضطهد أصحابه ، فمن كان بلا نصير أمره بالهجرة إلى الحبشة ، فهاجر إليها جمع منهم [2] ، وفيهم عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف فأكرم النجاشي مثواهم وعـاد بعضهم قبل الهجرة ، وأكثرهم في السابعة للهجرة . وماتت زوج النبي خديجة بعد ٢٥ سنة من زواجها منه ، ثم مات عمه أبو طالب فقل بموتهما أنصاره . ولكنه لم ييأس ولا ضعفت عزيمته ، بل كان يقصد الأسواق العامة ومواسم الحج ، ويدعو القبائل جهاراً إلى توحيـــد الله ودين الفطرة وترك عبادة الأصنام والكواكب ، وقد حرم الخمر والميسر ووأد البنات وكل ما كانت تدين به عرب الجاهلية من الباطل ، فاستجاب له ستة نفر من أهل المدينة (يثرب) وكلهم من الخزرج ، فأسلموا وعادوا إلى قومهم ، فأسلم على أيديهم كثيرون .

ثم جاء منهم في الموسم التالي أثني عشر رجلا من الأوس والخزرج ، بايعوه على الإسلام ، وبعث فيهم مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وشعائر الإسلام ، فانتشر بهم الإسلام في المدينة حتى قيل إنه لم يبق دار إلا وفيها ذكر للنبي (ص) .

وفي الموسم الثالث جاءه ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان بايعوه على الإيمان والدفاع عن دعوته بالسيف متى قدم عليهم ، ثم عادوا الى المدينة ، وعزم النبي (ص) على اللحاق بهم هو واصحابه ، ولما علم قريش بذلك خافوا أن يؤلب عليهم أهل المدينة ويغزوهم في دارهم ، فعزموا على قتله ، فخرج مهاجراً إلى المدينة سراً ، وذلك في ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م . ثم لحق به أصحابه من مكة فسماهم المهاجرين ، وسمى أهل المدينة الأنصار ، وقـد آخى بين أفراد الفريقين ؛ فجعل لكل واحد من المهاجرين أخا من الأنصار ، ولما كثر أتباعه شرع ينشر دينه بالدعوة إليه مع حماية هذه الدعوة بالسيف إذا اضطر لذلك ، وما كان السيف إلا وسيلة لبث الفضيلة في العالم التي كان ينشدها له ، وقد بلغت غزواته التي خرج فيها بنفسه ٢٧ ، وقـع القتال منها في تسع ، وبلغت سراياه وبعوثه ٤٨ ، واشهر غزواته سبع .

---

(١) كان من اشد خصوم الرسول «ص» عمه ابو لهب، وامراته ام جميل حمالة الحطب .

(٢) خرجوا سراً من مكة مشاة الى البحر ، فاستاجروا سفينة بنصف دينار ، وخرجت قريش في آثارهم ، فلم يدركوا منهم احداً .